مقدمة

فن وعلم الصحافة من العلوم المهمة التى تفيد أى مجتمع وتعمل على إثرائه فكريًا وثقافيًا كما تساعد على نهضته وتقدمه فبالنقد والتوجيه والإرشاد يأتى الإصلاح، ويمكننا تعريف الصحافة بأنها مرآة المجتمع تعكس واقعه وتحمل مشاكله وأحلامه ورؤاه تنقلها إلى النخبة الحاكمة وتعود بالرد إلى الشعب وكما أنها صوت الشعب فهى فى بعض الأحيان تكون صوت الحاكم إلى الشعب. وبدون صحافة حقيقية حرة يستطيع الظالم أن يتمادى فى ظلمه لأن لا أحد يراه. أو يفضح مخططاته ونواياه ويستطيع الحكام عدم الاهتمام بالشعب فلا أحد يبلغ صوت الشعب لهم. إذن الصحافة هى النور الذى يرى به عامة الشعب وهى انعكاس لحالة المجتمع إذا كان المجتمع يسوده جو من الديمقراطية فإن الصحافة آنذاك تكون صحافة حرة طليقة ونحن ننشد الحرية والديمقراطية الحقيقية ونتمنى من الدولة المزيد من المواقف التى تدعم حرية الصحافة، ففى تقرير دولى عن الحريات وحرية الرأى فى الوطن العربى لم تظهر دولة عربية واحدة فى الترتيب الأول وجاءت أربع دول فى الترتيب الثانى ثم جاءت بأقى الدول فى الترتيب الثالث فالحرية التى تنعم بها الصحف نسبية ومحكومة وهناك انتهاكات صارخة لحرية الصحافة، وهناك تقييد لحرية إصدار الصحف فى الوطن العربى. أيضًا الصحافة هى المعرفة والخبر والتحقيق والرأى تعمل على إثراء الفكر والثقافة بمختلف فروعها فنية واجتماعية وأدبية وسياسية وتاريخية وفلسفية.

وعلم الصحافة علم أوروبى بدأ منذ قام الألمانى جوتنبرج، يوهان باختراع المطبعة فى عام ١٤٣٦، وقد عرفت مصر فن الصحافة مع قدوم الحملة الفرنسية عليها حيث جاء نابليون يحمل مع مدفعه المطبعة ليخاطب عن طريقها الشعب المصرى ويحاول استمالته فأصدر صحيفة باللغة الفرنسية سنة ١٧٩٨ وعندما رحل الفرنسيون بسبب المقاومة المصرية الباسلة جاء محمد على وأصدر أول صحيفة رسمية هى «الوقائع المصرية» سنة ١٨٢٨. ثم صدرت أول صحيفة شعبية هى صحيفة «وادى النيل» عام ١٨٦٧ ثم طلع فجر القرن العشرين وفى مصر والإسكندرية عدد لا بأس به من الصحف وصل عددها من عام ١٨٧٢ حتى عام ١٨٩٢ حوالى ٨٦ صحيفة منها «نزهة الأفكار» ١٨٦٩ و«روضة الأطيار» سنة ١٨٧٥ و«الوطن» سنة ١٨٧٦ و«جريدة مصر» سنة ١٨٧٦ و«العصر الجديد» سنة ١٨٨٠ و«اللطائف» سنة ١٨٨٢ و«الأهرام» سنة ١٨٨٥ و«المؤيد» سنة ١٨٨٩ وصدر أول تشريع للمطبوعات فى مصر فى أثناء الحملة

الفرنسية الذى أصدره الجنرال بونابرت بتاريخ ١٤ يناير ١٧٩٩ وفى ١٣ يوليو سنة ١٨٢٣ أصدر محمد على والى مصر أمرًا يحرم طبع أى كتاب إلا بإذن الباشا وعندما تولى سعيد باشا الحكم أصدر تشريعين لتنظيم المطبوعات أولهما كان ينص على فرض الرقابة الواقية على المطبوعات وعدم جواز نشر الصحف دون الحصول على رخصة من ديوان الداخلية ونص الثانى على منع صحف الأجانب فى مصر من نشر أى نقد لأعمال الحكومة. وفى ١١ ديسمبر سنة ١٨٧٠ صدر القانون المايونى الذى اعترف بحرية المطبوعات فى الدولة العثمانية وساتر ولاياتها، وفى أكتوبر سنة ١٨٦٦ تأسس قلم الصحافة والمطبوعات فى مصر وألحق بنظارة الخارجية، وفى ١٣ ديسمبر ١٨٧٨ تقرر أن تكون الصحف تابعة لوزارة الداخلية مرة أخرى. وفى ٢٦ نوفمبر ١٨٨١ صدر قانون المطبوعات والصحافة الذى يعتبر بحق أول تشريع يصدر للصحافة فى مصر وكان من عيوب هذا القانون تقييد حرية النشر حيث أعطى للسلطان الإدارية حق تعطيل الصحف بدعوى المحافظة على النظام العام أو الدين أو الآداب، وفى ٢٧ فبراير سنة ١٩٣٦ صدر مرسوم بقانون رقم ٢٠ لسنة ١٩٣٦ بشأن المطبوعات والمطابع فى مصر وفى ٢٤ مايو سنة ١٩٦٠ صدر القانون رقم ١٥٦ لسنة ١٩٦٠ بتنظيم الصحافة وجعلها تابعة للاتحاد القومى ثم سنة ١٩٧٥ صدر قرار الاتحاد الاشتراكى العربى بإنشاء المجلس الأعلى للصحافة وتحديد اختصاصاته، وفى سنة ١٩٨٠ صدر قانون رقم ١٤٨ الذى ينص على أن الصحافة المصرية سلطة شعبية مستقلة تمارس رسالتها بحرية فى خدمة المجتمع ثم جاءنا قانون ٩٣ لسنة ١٩٩٦ الذى كان يهدف إلى تقييد حرية الصحافة، وقد وقف جموع الصحفيين وعلى رأسهم الأستاذ إبراهيم نافع نقيب الصحفيين ضد هذا القانون وكان لهم الفضل فى إلغائه وصدور القانون الحالى الذى يعطى الصحافة والكلمة قدرًا كبيرًا من الحرية والديمقراطية. تلك كانت بداية نشأت الصحافة وقوانينها دون الدخول فى تفاصيل. أما العمل فى بلاط صاحبة الجلالة فيتطلب الالتزام بالأمانة فى الكلمة والصدق فى القول والدقة فى النقد والحفاظ على القيم الروحية للشعب التى هى أساس تراثه الحضارى والفكرى والقوة الدافعة لنضاله، وأن يعمل كل صحفى على أن يكون رائد البناء والتقويم والتوجيه والإرشاد لا الهدم والتشهير والافتراء والتشويه وكل روادنا فى هذا الكتاب توفرت لديهم هذه الصفات كما دانت لهم المعلومات بسهولة لقربهم من مصادرها وصلتهم الوثيقة بنظام الحكم فكانوا صوت الشعب إلى الحاكم أكثر من كونهم صوت الحاكم إلى الشعب فتبنّوا قضايا الفقراء والشعب وعاشوا على مبادئ الأخلاق الصحفية التى تهدف إلى إصلاح كل ما هو ممكن وتعديل ما يلزم تعديله. آمن هؤلاء العمالقة أن رسالة القلم تعتبر من أقدس الرسالات وقد أراد الله سبحانه

وتعالى أن يؤصّل قدسية القلم فأقسم فى أول سورة القلم حيث قال تعالى: ﴿ نۚ والقلم وما يسطرون ﴾. فالقلم له قدسيته والكلمة المكتوبة أقوى وسائل نقل الأفكار والأحداث والصحافة هى السجل التاريخى لحياة الأمم. إن كل رائد ونجم من نجوم كتابنا هذا قد أثرى العالم الصحفى فى مصر والوطن العربى وساهم بشكل قوى وفعال فى نهضة الصحافة والدفاع عن قضايا الشعب فهم بحق نجوم صنعت الصحافة المصرية.

وفى كتابنا هذا الذى بين يديك أيها القارئ حرصنا على أن نذكر المدارس الصحفية لهؤلاء وأسلوبهم كما اخترنا نماذج من مقالاتهم المهمة التى كان لها صدى كبير فور صدورها ونشرها، وهى تعدُّ مرجعًا مهمًا فى القضايا التى تناولوها فى هذه المقالات، بالإضافة إلى أننا نذكر القارئ بأسلوبهم وطريقة تناولهم للقضايا، وقد رأينا أن نبدأ بتسلسل زمنى فكان الشيخ على يوسف صاحب مدرسة جريدة المؤيد وأول صحفى يصدر جريدة مصرية خالصة. ثم جاء بعد ذلك الصحفى والخطيب المفوَّه توفيق دياب صاحب مدرسة الصحافة الحزبية التى ظهرت على صفحات جريدة الجهاد وكان أول صحفى برلمانى وأول عربى يدرس الخطابة فى لندن. ثم جاء الأستاذ والكاتب الكبير فكرى أباظة صاحب مدرسة المقال الجرىء والاستجواب الصعب، ثم محمد التابعى أمير الصحافة المصرية وصاحب مدرسة آخر ساعة، ثم السيدة روز اليوسف صاحبة أكبر مجلة فنية وهى «روز اليوسف»، ثم جاء الأستاذ مصطفى أمين وشقيقه على أمين ليضيفا للصحافة المصرية صحافة جديدة تتميز باللمسة الإنسانية والصحافة الخبرية فى أخبار اليوم، ثم هيكل الجورنالجى والسياسى الكبير الذى جدد شباب الأهرام لتستمر كمدرسة لها أسلوبها الخاص التى لم تحد عنه يومًا منذ نشأتها وحتى الآن، ثم جاء الختام مع الكاتب الكبير أحمد بهاء الدين صاحب الفكر الاشتراكى الذى أدخل الصحافة الشابة من خلال مدرسة صباح الخير.

إن كل هؤلاء النجوم تحملوا فى سبيل إعلاء كلمة الحق والحرية والدفاع عن آرائهم الكثير من المتاعب والمشاق وبعضهم تعرض للسجن سنوات فى سبيل ذلك حتى استحقوا أن يكونوا مدارس نتعلم منها وقدوة لشباب الصحفيين. إنهم أثروا بحق بلاط صاحبة الجلالة وتركوا لنا قلاعهم الصحفية تنير لنا الطريق حتى الآن.

والله المـــــوفق...

جمعة أبو النيل